III

كيف كانت سياسات الانتداب البريطاني ؟ هل كانت متذبذبة ام ثابتة ومصممة ؟ ما مغزى تذبذبها وتناقضها ؟ هل كان العامل الدولي (الانتداب الانكليزي + الموقف السوفياتي + قرارات هيئة الامم المتحدة) هو الذي مكن الييشو فمن اقامة دولة ، ام ان العامل المحلي ، اي ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي ، هو الذي حسم مصير النزاع ؟ واذا افترضنا ان العامل الدولي لعب لصالح الييشوف ، فما صلة ذلك بالامر الواقع الذي صنعه الييشوف في فلسطين وجابهوا بـــه العالم ؟ واذا افترضنا ان الفلسطينيين ، ومن ورائهم العرب ، وضعوا العالـم امام امر واقع وسيطروا بالقوة على كل فلسطين ، هل كان العامل الدولـــي سيغير هذا الامر الواقع ويسلم فلسطين للييشوف ؟

لا شك ان وعد بلفور ، الذي ثبت في صك الانتداب الذي اقرته « عصبـــة الامم » ، كان حجر الاساس الذي بنيت عليه وحوله المرتكزات والهياكل التـي قامت عليها دولة اسرائيل · بيد ان صك الانتداب نفسه نص على انه لن تمس حقوق واوضاع الفئات الاخرى من السكان· لذا فان معاينة السياسات الانكليزية خلال فترة الانتداب تبين بوضوح لا مثيل له ان وعد بلفور ، شأن اي قـــرار سياسي لدولة حديثة ، كان يشكل لحظة فحسب في مسار السياسة الكولونيالية الانكليزية ، طويل ، متعرج ، متذبذب ، متناقض ، تلعب به موازين القوى والضغوط المتبادلة · والواقع ان صك الانتداب بالذات ما كان ممكنا ، كما قال حاييـــم وايزمن (١٠) ، ان يأخذ هذا المنحى المحابي للطرف الصهيوني ويلعب هذا الدور الكبير في تحديد موقف الدول الكبرى الايجابي من المطامع الصهيونية ، لـــولا اتفاق فيصل ـ وايزمن ، اي لولا هذا التنازل العربي غير المبرر ·

من هنا ، ومع بروز وتنامي المعارضة العربية بادرت انكلترا الى اصدار كتاب ابيض في العام ١٩٢٢ يفسر وعد بلفور على نحو اقل محاباة بكثير لليهـود ، معلنا ان المقصود من وعد بلفور ليس تحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي ، بل فقط اقامة موطن قومي يهودي في فلسطين فارضا قيودا على الهجرة اليهودية تتناسب مع « قابلية الاستيعاب الاقتصادية للبلد » ، كما وضع عددا من القواعد الاقل محاباة بخصوص التعامل مع « الوكالة اليهودية » · هنا ، في هذا الكتاب الابيض ، ارادت بريطانيا ان تعطي نفسها دور الحكم بين العرب واليهود ·

بعد ذلك ، وبوجه عام ، مضت فترة هدوء في فلسطين (١٩٢٤ ـ ١٩٢٩) ، نجمت بالدرجة الاولى عن عدم فاعلية الحركة الصهيونية ، حيث توقف ، فـي العام ١٩٢٧ مثلا ، دفق الهجرة الى فلسطين واصبح مغادرو فلسطين اكثر من القادمين اليها ، فتوقف او تلاشى النشاط السياسي الفلسطيني ، نظرا لانه بقي حتى ذلك الحين مجرد رد فعل وليس فعلا · وجاءت حادثة البراق او حائط